المؤتمر العلمي الثاني
لطلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا
الجامعة الأسمرية الإسلامية 1446هـ- 2024م

تاريخ مساهمة معاوية بن أبي سفيان ﷺ في تأسيس أركان الدولة الأموية (41-61هـ/661-680م)

عائشة عيد القادر الأعوج و محمد عمر بشينة*

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

*البريد الإلكتروني: m.ebshina@asmarya.edu.ly

The History of Muawiya ibn Abi Sufyan's Contribution to the Establishment of the Foundations of the Umayyad State (41-61 AH/661–680 AD)

Aisha Abdelkader Al-Awaj and Mohammed Omar Bashinah*

Department of History, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University, Zliten, Libya

الملخص

تولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخلافة، مما أدى إلى تأسيس الدولة الأموية التي أنهت سنوات من الفتن والصراعات على السلطة. استطاع معاوية أن يرسخ دعائم دولته بفضل حكمته وجهوده، مما ساهم في استقرار حكم بني أمية. ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على الأحداث التي سبقت قيام الدولة الأموية، واستعراض المواجهات التي واجهها معاوية بن أبي سفيان لتثبيت حكمه، وأيضاً يهدف إلى تحليل تأثير معاوية ﷺ على استقرار الدولة الأموية ودراسة سياساته في تعزيز الأمن والاستقرار السياسي. وكذلك يهدف إلى معرفة التحديات التي واجهها معاوية ﷺ وكيفية تعامله معها، بما في ذلك الفتن والحركات المعارضة. اعتمد البحث على المنهج التاريخي السردي، الذي يقوم على سرد وتحليل الأحداث التاريخية. ونتج عن البحث عدة نتائج أهمها: أسس معاوية نظام حكم مركزي قوي، حيث استند إلى هيكل إداري فعال يساعد في إدارة شؤون الدولة، مما عزز من قوة الدولة الأموية، وعمل على إعادة تنظيم الجيش وتوسيع قوته، مما ساعد في تحقيق الفتوحات الجديدة وتأمين حدود الدولة، قام بتنفيذ استراتيجية فعالة للفتوحات في شمال أفريقيا، مما ساهم في توسيع الأراضي الأموية وتثبيت الأقدام الإسلامية في تلك المناطق، ونتج عن البحث أنه عمل على تحقيق الاستقرار الداخلي من خلال التعامل مع الفتن والمنازعات، مما ساهم في تعزيز ولاء الناس للدولة، واتبع سياسة مرنة في التعامل مع الروم والبيزنطيين، مما أتاح له التركيز على الفتوحات الداخلية وتوسيع النفوذ.

الكلمات الدالة: معاوية ابن أبي سفيان، مساهمة، الدولة الأموية، أركان، بيزنطة، شمال أفريقيا.

Abstract

Muawiya ibn Abi Sufyan assumed the caliphate, leading to the establishment of the Umayyad state, which ended years of strife and struggles for power. Muawiya was able to solidify the foundations of his state thanks to his wisdom and efforts, contributing to the stability of Umayyad rule. The research aims to highlight the events that preceded the establishment of the Umayyad state, reviewing the challenges faced by Muawiya ibn Abi Sufyan in consolidating his rule. It also seeks to analyze Muawiya's impact on the stability of the Umayyad state and to study his policies in enhancing security and political stability. Additionally, the study aims to understand the challenges Muawiya encountered and how he dealt with them, including internal strife and opposition movements. The research relies on a narrative historical methodology, which involves narrating and analyzing historical events. The findings of the research revealed several important results, including: Muawiya established a strong centralized governance system, based on an effective administrative structure that helped manage state affairs, thereby strengthening the Umayyad state. He reorganized the army and expanded its strength, facilitating new conquests and securing the state's borders. He implemented an effective strategy for conquests in North Africa, contributing to the expansion of Umayyad territories and solidifying Islamic presence in those regions. The research concluded that he achieved internal stability by addressing strife and disputes, enhancing the loyalty of the people to the state, and adopting a flexible policy in dealing with the Romans and Byzantines, which allowed him to focus on internal conquests and expand influence.

Keywords: *Muawiya ibn Abi Sufyan, Contribution, Umayyad State, Pillars Byzantium, North Africa.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

مرت الدولة الإسلامية بعدة مراحل حاسمة ساهمت في تشكيل نظام الحكم وتطوره. بدأت هذه المراحل بمرحلة النبوة، حيث أسس الرسول صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية، ثم تلتها الخلافة الراشدة، التي تمثلت في الخلفاء الأربعة: أبي بكر الصديق ﷺ ، وعمر بن الخطاب ﷺ، وعثمان بن عفان ﷺ، وعلي بن أبي طالب ﷺ. بعد ذلك، تولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخلافة، مما أدى إلى تأسيس الدولة الأموية التي أنهت سنوات من الفتن والصراعات على السلطة. استطاع معاوية أن يرسخ دعائم دولته بفضل حكمته وجهوده، مما ساهم في استقرار حكم بني أمية.

تمكن معاويةﷺ من إرساء دعائم الدولة بسبب الخبرة الطويلة فقد كان والياً على بلاد الشام منذ عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ﷺ، وواجه العديد من التحديات من مختلف الاتجاهات،

بما في ذلك الشيعة والخوارج. وبفضل حكمته، استطاع التعامل مع هذه التحديات وقضى على المخاطر التي كانت تهدد الدولة الناشئة.

أهداف البحث

- تسليط الضوء على الأحداث التي سبقت قيام الدولة الأموية، واستعراض المواجهات التي واجهها معاوية بن أبي سفيان لإرساء دعائم الدولة.
- تحليل تأثير معاوية ﷺ على استقرار الدولة الأموية ودراسة سياساته في تعزيز الأمن والاستقرار السياسي.
- تقييم الاستراتيجيات التي اتبعها معاوية ﷺ في إدارة شؤون الدولة.
- معرفة التحديات التي واجهها معاوية ﷺ وكيفية تعامله معها، بما في ذلك الفتن والحركات المعارضة.

أهمية البحث

تعد هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي حساسة ومهمة، حيث يسلط البحث الضوء على دور الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ﷺ في تأسيس الدولة الأموية سنة: (41-61هـ/661–680م).

- فهم مراحل التأسيس وكيف ساهمت جهود معاوية في بناء الدولة الأموية.
- تسليط الضوء على القيادة السياسية وفهم أسلوب معاوية في الحكم والتحديات التي واجهها.
- تحليل التحديات الداخلية وكيفية تعامل معاوية مع حركات المعارضة، مما يعكس استراتيجياته في إدارة الأزمات.
- إبراز التأثيرات طويلة الأمد لسياسات معاوية ﷺ على الدولة الأموية وتطورها لاحقًا.
- توفير معلومات قيمة للباحثين والمهتمين بالتاريخ الإسلامي، مما يثري المكتبة الليبية والعربية.

تساؤلات البحث

يطرح البحث الأسئلة التالية:

- من هو معاوية بن أبي سفيان ﷺ ؟
- كيف انتقلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ ؟
- ما الحركات التي واجهها معاوية في بداية حكمه ﷺ ؟

- كيف كانت الأوضاع الداخلية والخارجية في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وكيف ثبت قواعد الدولة الأموية؟

المنهج البحثي

يعتمد البحث على المنهج التاريخي السردي، الذي يقوم على سرد وتحليل الأحداث التاريخية، الذي تم تطبقيه وفقا لنظام الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA).

خطة البحث

يتضمن البحث الخطة التالية:

الفصل الأول: التعريف بمعاوية بن أبي سفيان ﷺ

- المبحث الأول: التعريف بمعاوية ﷺ
- المبحث الثاني: انتقال الخلافة إلى معاوية ﷺ

الفصل الثاني: نماذج من أهم الأحداث السياسية الداخلية في عهد معاوية ﷺ

- المبحث الأول: حركة الخوارج وحركة الشيعة
- المبحث الثاني: أوضاع السياسة خارج العراق

الفصل الثالث: نماذج من أهم الأحداث السياسية الخارجية في عهد معاوية

- المبحث الأول: تعامل معاوية ﷺ مع الجهة الشرقية
- المبحث الثاني: تعامل معاوية ﷺ مع الجهة البيزنطية
- المبحث الثالث: تعامله مع جهة شمال إفريقيا
- المبحث الرابع: وفاة معاوية بن أبي سفيان ﷺ

وفي نهاية البحث، سيتم عرض الخاتمة التي تلخص أهم النتائج، مرفقة بقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول: التعريف بمعاوية بن أبي سفيان ﷺ

المبحث الأول: التعريف بمعاوية -رضي الله عنه-

هو معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- بن منذر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. يُعرف بأنه أبو عبد الرحمن، وكان خال المؤمنين وكاتب وحي الله. أمه هي هند بنت عتيبة بن ربيعة بن عبد شمس. وُلد في مكة قبل البعثة بخمس سنوات، وأسلم يوم فتح مكة، حيث اختاره الرسول - صلى الله عليه وسلم - كاتبًا للوحي. روى الحديث عن الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر

وعثمان، وله أخت هي أم المؤمنين أم حبيبة. توجد له أحاديث في الصحيحين وفي كتب حديث أخرى، وقد روى عن عدد من الصحابة والتابعين (طقوس، 1996، 13).

وجعله النبي محمد صلى الله عليه وسلم كاتبًا للوحي، وكان أمينًا على ما أُوكل إليه من مهام، مما دفع الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ثم عمر بن الخطاب ﷺ إلى تعيينه والياً على الشام. وفي عهد الخليفة عثمان، استمر والياً في الشام لمدة عشرين عامًا قبل أن يتولى الخلافة. كان يتميز بالسماحة والحزم، حيث يذكر الزبيدي: "كان جيد السياسة حسن التدبير في أمور الدنيا" (الزبيدي، 1370، 30). تنبأ والداه بمستقبل عظيم له منذ طفولته. فقد رُوي أن أبا سفيان، حين نظر إلى معاويةﷺ وهو طفل، قال: "إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه". فردت هند: "قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة" (ابن كثير، د.ت، 398/11). وعن أبان بن عثمان، قال: "كان معاويةﷺ يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت له: قم لا رفعك الله. وكان أعرابي يشاهد هذا فقال: لم تقولين له ذلك، فو الله إني لأظنه سيسود قومه. فأجابت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه" (البغوي، د.ت، 363/5).

كان معاوية - رضي الله عنه - عاقلاً حكيمًا، يتحلى بالحلم في مواضع الهدوء ويظهر الشدة عند الحاجة، لكن الحلم كان الغالب عليه. كما كان كريماً ومحباً للرياسة. ومن أقواله المشهورة: "إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، كانوا إذا شدوها أرخيتها، وإذا أرخوها شددتها" (الزبيدي، 1370، 30).

كان سياسيًا بارعًا يتمتع بذكاء وحنكة، يعرف كيف يدير الأموال ويستثمر الأوقات بشكل جيد. وقد تمكن من استمالة أهل الشام بالمال وغيره، وقوى نفوذه من خلال تحالفه مع القبائل اليمنية ذات الكثافة السكانية، مما جعل أهل الشام حزبًا قويًا (الزبيدي، 1370، 30).

بهذه الصفات، استطاع معاوية - رضي الله عنه - أن يكبح جماح الخوارج ويدير شؤون الأمة الإسلامية بحكمة وحسن تدبير (طقوس، 1996، 14).

المبحث الثاني: انتقال الخلافة إلى معاوية

استطاع معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أن يتولى زعامة البيت الأموي خلال خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ليصبح القائد الفعّال لأبناء هذا البيت في سعيهم نحو السيادة العليا في الدولة العربية الإسلامية.

لقد أتاح له طول فترة حكمه في بلاد الشـام وولايته طوال عهد الخلفاء الراشـدين: أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - الفرصة لتأكيد سلطته هناك وتكوين قوة عسكرية (العدوي، 1982، 164-165).

وقد تجلت زعامة معاوية وأهمية القوة التي بنى عليها في الشـــام حين تزايد السـخط على الخليفة عثمان - رضي الله عنه - بسبب الفتن التي عصفت بالأمة، تفاقم هذا السخط مع قيام ثورة على الخليفة عثمان أدت إلى مقتله سنة 35 هـ/656م، مما أتاح لمعاوية - رضي الله عنه - الانفراد بحكم الشـام وقيادة البيت الأموي في المطالبة بدم الخليفة. ورفض معاوية الامتثال لأوامر الخليفة الجديد، علي بن أبي طالب - رضـي الله عنه - مُصِـرًا على تسـليم القتلة والأخذ بثأر عثمان (العدوي، 1982، 165).

كما أن نائلة، زوجة عثمان - رضي الله عنه -، قد أرسلت بقميص زوجها المقتول وأصابعه التي قطعها الثوار إلى معاوية لتحريضه على الأخذ بثأره، علق معاوية قميص الخليفة وأصابع نائلة على المنبر في دمشق لتحفيز أهل الشام على الانتقام، واستغل هذه المشاعر لتعزيز قواته الحربية (العدوي، 1982، 165).

ضم معاوية - رضي الله عنه - إليه مجموعة من دهاة العرب، أبرزهم عمرو بن العاص - رضي الله عنه -، وسـار بهذا الجيش لمواجهة الخليفة علي بن أبي طالب - رضـي الله عنه - الذي كان يتقدم بقواته نحو الشام. واندلعت المعارك بين الجيشين عند صفين، وكانت البداية لصالح جيش علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (ابن كثير، د.ت.، 252/6).

اضطر علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى قبول التحكيم تحت ضغط جماعة القراء من جنوده، الذين اشـتهروا بإجادته حفظ القرآن الكريم وتلاوته (العدوي، 1982، 165). جاءت حادثة التحكيم كنصر سياسي كبير لمعاوية، إذ كانت تعني تنازل علي بن أبي طالب عن حقه في الخلافة، مما رفع من شأن معاوية الذي لم يكن يمتلك حتى ذلك الحين سندًا شرعيًا في المطالبة بالخلافة (العدوي، 1982، 165).

تلاحقت الأحداث بعد ذلك لتعزز موقف معاوية، حيث انقسـم جنود علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد قبول التحكيم. نادي بعضهم بضرورة الرجوع عن التحكيم لما يحمله من أخطاء فادحة، وعندما رفض على الاستجابة لهم، اتهموه بالسعي لمصلحته الشخصية، مما أدى إلى انشقاقهم عنه، وأصـبحوا يعرفون لاحقًا باسـم "الخوارج". تجمع هؤلاء الخوارج عند النهروان قرب المدائن (العدوي، 1982، 165-166).

رغم محاولات علي بن أبي طالب - رضـي الله عنه - لاحتواء الموقف، زحف عليهم وأنزل بهم هزيمة فادحة عند النهروان سنة 37 هـ/658م. لكن أحد هؤلاء الخوارج، عبد الرحمن بن ملجم، انتقم منه واغتاله سنة 40 هـ/661م (العدوي، 1982، 166).

وكان لبنو هاشـم من الجاه والسـلطان مما يؤهلهم للخلافة. ولذلك، كانوا ينتظرون الفرصـة للقبض على زمام الملك. وعندما قُتل الخليفة عمر بن الخطاب - رضـي الله عنه - وحُصـرت الشـورى بسـتة من الصحابة، كان بينهم عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، أظهر بني أمية نشـاطًا كبيرًا في دعم انتخابه، وسـاعدهم على ذلك ميل جمهور المدينة نحو عثمان، مما أدى إلى انتخابه (طقوس، 1996، 18-19).

في أول اجتماع عقده عثمان في داره، قال فيه أبو سفيان بن حرب: "أفيكم أحد من غيركم؟" فقالوا: "لا." فقال: "كان هذا الأمر في يتم، وأنى ليتم هذا الأمر." ثم انتقل إلى عدي وأبعده، واسـتقر الأمر بعد ذلك، فتلقفوها تلقف الكرة، وكان أبو سـفيان يحلف: "ما زلت أرجوها لكم، ولتصـيرن إلى صبيانكم وراثة" (طقوس، 1996، 19).

عمل هؤلاء على جمع النفوذ في أيديهم واستحواذهم على السلطة، مما أدى إلى إيقاظ تنافس كان قد خمد بين بني أمية وبني هاشم، مما أثار استياء سائر الصحابة (طقوس، 1996، 19).

أدرك معاوية حراجة الموقف ودقة الوضـع، حيث انصـرف كثير من أهل المدينة عن الخليفة عثمان وتخلوا عن دعمه. لذا، طلب معاوية من عثمان أن ينتقل معه إلى الشـام، الذي ظل مواليًا له. لكن عثمان رفض مغادرة المدينة وأصـر على البقاء فيها. عرض عليه معاوية إرسـال جنود من أهل الشـام لحمايته، لكنه رفض ذلك أيضًـا. لقد كانت خلافة عثمان تُمثّل الثقة التي منحها الصـحابة الكبار، المهاجرون الأوائل، لصاحبها في الدين الإسلامي (طقوس، 1996، 19-20).

إذا كانت الأمصـار تراقب عن كثب اجتماعات أهل الحل والعقد في المدينة ولما وجدوا أن هذه الاجتماعات لم تجد نفعا أخذوا زمام المبادرة وأرسـلوا الوفود إلى المدينة من الكوفة[1](الحموي، د.ت،2/ 307) .والبصـرة[2] (Dumper & Stanley, 2006, 72) ومصـر [1] وضـربوا حصـارا حول منزل عثمان دام أربعين يوما وعبثا دافع عنه أبناء الصحابة أولهم الحسن بن علي ولكن الثوار اقتحموا بيته وقتلوه سنة (35هـ/656م) (طقوس، 1996، 20).

[1] هي إحدى المدن أو الأمصار التي بنيت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

[2] البصرة مدينة عراقية قديمة مشهورة شيدها عتبة بن غزوان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 14 وقيل 15هـ عند ملتقى نهري دجلة والفرات.

عمل معاوية بن أبي ســفيان - رضــي الله عنه - كعامل للخليفة عثمان - رضــي الله عنه - في الشــام، رافقه رجال من قريش. في تلك الأثناء، بايع أهل المدينة علي بن أبي طالب - رضــي الله عنه - وكلهم من الأنصــار، مما أدى إلى انقســام المســلمين إلى فئتين رئيســيتين: الأنصــار الذين كانوا يؤيدون الخلافة من أهل البيت، وبنو أمية في الشــام الذين كانوا يطالبون بالخلافة لمعاوية. بينما كان جمهور الصحابة يرون الحق لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه (طقوس، 1996، 21).

مع مرور الوقت، اتسـعت رغبته في تحقيق أهدافه. معاوية ورجاله، ونجح في جمع أعوانه من دعاة العرب وأصحاب الرأي، ومن بينهم كبار الصحابة مثل عمرو بن العاص وزياد بن أبيه والمغيرة بن شــعبة. كانت مشــورتهم ومســاعدتهم حاســمة في اســتقرار ســلطته. وعندما بويع على بالخلافة، عُزل معاوية عن ولاية الشام، لكنه تمسك بحقه في المطالبة بدم عثمان والقصاص من قتلة عثمان - رضي الله عنه - (طقوس، 1996، 21).

استعد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – لتصدي لمعاوية وجهز جيشًا كبيرًا لمواجهته. لكن حدثًا خطيرًا شغله عن هذه المعركة، وهو خروج عائشة - رضي الله عنها - وطلحة والزبير ضد الخليفة علي، مما اضطره لمحاربتهم في البصرة، وانتهت المعركة بقتل طلحة والزبير، وسُميت تلك الحرب بوقعة الجمل في سنة 36 هـ/656م (طقوس، 1996، 21-22).

نجح معاوية في إثارة أهل الشام الذين اعتقدوا أن عليًا يسوف في القصاص من قتلة عثمان. اســتغل قتال على لعائشــة وطلحة والزبير في دعايته، مما حقق له خطوة أولى نحو الهدف الذي رسـمه (طقوس، 1996، 22).

توالت المراســلات بين علي ومعاوية، لكنها زادت من حماس أهل الشــام وجعلتهم يعتقدون أن الخليفة علي يمتنع عن إقامة حدود الله. أجاد معاوية في اســتغلال هذا الوضــع، مما ســاهم في تجمع الناس حوله. وأخيرًا، اضــطر الخليفة علي لقتال معاوية، والتقى الجيشــان في منطقة الصــفين، حيث دارت معركة قاسية كان النصر فيها قريبًا من علي، وكاد أن يُمنى معاوية بهزيمة (طقوس، 1996، 22).

[1] في عام 639م، قاد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جيشًا إسلاميًا قدِمَ من الشام عدده 4 آلاف جندي، واستطاع هزيمة البيزنطيين في مصر والاستيلاء عليها عام 641 م بعد معارك استمرت لسنتين، وقام بإنشاء مدينة الفسطاط وأصبحت ولاية إسلامية تابعة للخلافة وقاعدة لانطلاق الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا.

لكن معاوية تدارك الأمر بحيلة، حيث استشار عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الذي اقترح رفع المصاحف على أسنة الرماح كوسيلة للتفاوض. وافق معاوية على هذه الخطة ورفع المصاحف (طقوس، 1996، 22).

لاقى هذا الاقتراح قبولًا لدى بعض جنود علي، بينما رفضه آخرون، مما أدى إلى انقسام جيش على وإيقاف القتال. رغم تحذيرات علي بأن هذا مجرد مكيدة، أصر جزء كبير من جيشه على إيقاف القتال وقبول التحكيم (طقوس، 1996، 23).

الفصل الثاني: نماذج من أهم الأحداث السياسية الداخلية في عهد معاوية ﷺ

المبحث الأول: حركة الخوارج وحركة الشيعة

حركة الخوارج:

الخوارج في اللغة: لخُروج نقيض الدخول خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً ومَخْرَجاً فهو خارِجٌ وخَرُوجٌ وخَرَّاجٌ وقد أَخْرَجَهُ وخَرَجَ به الجوهري قد يكون المَخْرَجُ موضعَ الخُرُوجِ (العواجي، 1399، 2).

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات متنوعة. فالشهرستاني يوضح أن "كل من خرج على الإمام الحق يُعتبر خروجًا" (الشهرستاني، 1991، 106). بينما يصفهم أبو الحسن الأشعري بأنهم "تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، ويعتبر خروجهم عليه سبب تسميتهم بهذا الاسم" (الأشعري، 1990، 207).

أما ابن حجر، فيقول: "الخوارج هم جماعة خارجة، مبتدعة، سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين" (العسقلاني، 1968، 283). ويشير أبو الحسن الملطي إلى أن أول الخوارج هم المحكّمة الذين ينادون "لا حكم إلا الله"، ويعتبرون أن عليًا كفر عندما جعل الحكم لأبي موسى الأشعري. سُمّوا خوارج لأنهم خرجوا على علي يوم التحكيم بسبب كراهيتهم لمبدأ التحكيم (الملطي، 1968، 47).

يذكر الأشعري أن للخوارج عدة ألقاب، منها الحرورية، الشُرَاة، المارقة، والمحكّمة. وهم يقبلون جميع هذه الألقاب باستثناء "المارقة"، حيث ينكرون أن يكونوا خارجين عن الدين كما يمرق السهم من الرمية. سُمّوا محكمة لإنكارهم حكم الحكمين وقولهم "لا حكم إلا لله"، وحرورية لنزولهم في حروراء في بداية أمرهم، وشُرَاة لأنهم قالوا إنهم "شرينا أنفسنا في طاعة الله" (الأشعري، 1990، 207).

تشير المصادر التاريخية إلى أن حركة الخوارج بدأت بقتال المسلمين سنة (37هـ/657م)، في معركة صفين بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - قرب الرقة على شاطئ الفرات. ويرى البعض أن قبول علي - رضي الله عنه - لمبدأ تحكيم القرآن في هذا الصراع، والذي قوبل برفض من أتباعه، كان سببًا في خروجهم عليه (أشميسة، 2015، 227).

عارض خوارج الكوفة، بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي، مبدأ الصلح الذي تم بين الحسن ومعاوية - رضي الله عنهما -، وخرجوا في وجه الأخير. وعارض خوارج الكوفة، بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي، مبدأ الصلح الذي تم بين الحسن ومعاوية – رضي الله عنهما- فخرجوا في وجه هذا الأخير، وتقدموا نحو الكوفة، ونزلوا النخيلة [1] (الحموي، 278، 5). وجرت عدة اصطدامات بينهم وبين القوى العسكرية التي كان يرسلها معاوية لإخضاعهم (رياض عيسى، 1992، 118).

وتعدّ الحركة التي قادها المستورد بن علقمة سنة (43 هـ/663م) من أكبر حركاتهم ضد معاوية. وقد اصطدم بهم الوالي الأموي على الكوفة وهو المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - في المذار بين واسط[2] (المعاضيدي، 2006، 109) والبصرة وقتل زعماءهم، ونجح في وضع حد لنشاطهم، كما أبعد خطرهم عن الكوفة. وقد ساعده في مهمته: التوزع القبلي للخوارج وأهل الكوفة، وقوة السلطة المركزية، والسياسة الشديدة التي نفذها ضدهم في العراق، واتجاه أهل الكوفة نحو التشيع لآل علي . والجدير بالذكر أن الخوارج حاولوا، أكثر من مرة، استقطاب الكوفيين للقتال في صفوفهم، فأخفقوا. بل إن الكوفيين آثروا القتال ضدهم مدفوعين بمصالحهم السياسية (طقوس، 1996، 19).

التزم خوارج الكوفة بالهدوء لعدة سنوات حتى سنحت لهم فرصة جديدة للثورة على الحكم الأموي بقيادة حيان بن ظبيان السلمي عام 58 هـ/678م. انتهت هذه الثورة بمقتلهم جميعًا في العام التالي في معركة بانقيا (طقوس، 1996، 19).

أما خوارج البصرة، فقد اتبعوا نهج إخوانهم في الكوفة ولم يركنوا إلى الهدوء رغم النكبات التي أصابتهم. تفاقم خطرهم في العراق سنة: 41 هـ/661م عندما خرجوا بقيادة سهم بن غالب والخطيم الباهلي، فتصدَّى لهم الوالي الأموي ابن عامر وأخضعهم.

يبدو أن ابن عامر كان متساهلاً معهم، مما اضطر معاوية إلى عزله وتعيين زياد بن أبيه واليًا على البصرة عام 45 هـ/665 م. قام زياد بتعقبهم بشدة وأخذهم بالشبهة، مما أدى إلى إخضاعهم. لكنهم نشطوا مرة أخرى بعد وفاته عام 53 هـ/673م، فتصدَّى لهم ابنه عبيد الله، الذي عينه معاوية واليًا على البصرة عام 55 هـ/675م. استمر عبيد الله في ملاحقتهم وسجن بعضهم وقتل آخرين، وظل واليًا على البصرة يضيق الخناق عليهم حتى توفي معاوية - رضي الله عنه - (الطبري، 1967، 3، 313- 325).

حركة الشيعة:

يقول ابن دريد: "فلان من شـيعة فلان، أي: ممن يتبع رأيه. وشـيعت الرجل تعني أعنته على الأمر، وشايعت الرجل إذا ساعدته فيه" (ابن دريد، 1987، 63).

الشيعة هم أنصار الرجل وأتباعه، وكل مجموعة تجتمع على أمر يُعتبرون شيعة. والجماعة تُسمى شيعًا وأشياعًا، والشيعة هم من يوالون عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما تُستخدم كلمة "شيّعت" للإشارة إلى الإشعال في النار أو الخروج مع شخص لتوديعه. تقول العرب: "آتيك غدًا" أو "شيعَهُ"، أي اليوم الذي يتبعه. الشيعة هم من يتبع بعضهم بعضًا، والشيع تعني الفرق غير المتفقة (الأزهري، 2001، 61).

الشيعة هم أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، بينما أشياع هي جمع الجمع. أصل كلمة الشيعة يشير إلى مجموعة من الناس، ويُستخدم للدلالة على الواحد والاثنين والجمع، مذكرًا ومؤنثًا بنفس اللفظ والمعنى. وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًا وأهل بيته، حتى أصبح يُعرف بهم. فإذا قيل: "فلان من الشيعة"، عُرف أنه منهم، ويُقال: "في مذهب الشيعة كذا" أي عندهم، وأصل ذلك من المشايعة، أي المتابعة (ابن منظور، د.ت، 8، 188).

---

(1) **النخيلة:** تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي، رضي الله عنه، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة وقال: اللهم إني لقد مللتهم وملوني فأرحني منهم! فقتل بعد ذلك بأيام، وبه قتلت الخوارج لما ورد معاوية إلى الكوفة، وقد ذكرت قصته في الجوسق الخرب، فقال قيس ابن الأصم الضبي يرثي الخوارج:

إني أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب**

وقال عبيد بن هلال الشيباني يرثي أخاه محرزا وكان قد قتل مع قطري بنيسابور.

(2) **واسط:** تعزى الرواية التقليدية لتأسيس المدينة إنشائها على يد الحجاج بن يوسف على الضفة الغربية لدجلة مقابل مدينة كسكر لتكون عاصمة له بسواد العراق، استمرت واسط عاصمة للولاة الأمويين عقب وفاة الحجاج بصورة متقطعة. ازدهرت كعاصمة للسواد باعتمادها على الزراعة بهذا الإقليم ونشأتها كمركز لسك النقود. غير أن سيطرة العباسيين على العراق وتأسيسهم لبغداد أدت إلى تراجع أهمية واسط كمركز إداري. واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية 324-656 هـ/953-1258م.

ترجع جذور الحزب الشيعي إلى اختيار عثمان بن عفان خليفة. وقد عبر علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومن التفوا حوله عن معارضتهم لهذا الاختيار. تاريخ نشوء الحزب الشيعي كحركة معارضة للنظام الأموي بدأ مع معارضة حجر بن عدي عام 51 هـ/671م، بينما بدأ التشيع كعقيدة بعد مقتل الحسين في كربلاء عام 61 هـ/680م.

واجه معاويةﷺ، إضافة إلى خطر الخوارج، تحديًا آخر من شيعة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – الذين انتشروا في الكوفة والبصرة. فلم يكد الحسن – رضي الله عنه – يغادر العراق بعد الصلح مع معاوية حتى أظهر الأخير الشدة تجاه أهل العراق (طقوس، 1996، 20).

أدرك أهل العراق، الذين لم يندمجوا في وحدة الدولة الإسلامية برضاهم، أن حياتهم قد تغيرت وأنهم مقبلون على مستقبل أكثر قسوة مما كانوا يتوقعون (طقوس، 1996، 20).

بعد سنوات قليلة، وفدوا إلى الحسن لشكاية أعمال معاوية وولاته، وطلبوا منه قيادة قتال أهل الشام. ورغم رفض الحسن لبعض الأمور، اختار السلام وحقن الدماء. في هذا الاجتماع، تأسس الحزب السياسي المنظم للشيعة، وأصبح الحسن رئيسًا له، بينما انتظر أتباعه أوامر الحرب.

في هذه الأجواء، عيّن معاوية المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفة، ومنحه سلطات واسعة، وتميز حكمه بالتساهل. يبدو أن تعيين شخصية مرنة مثل المغيرة كان هدفه تهدئة المعارضة في الكوفة (ابن الأثير، 1996، 3، 207).

استمر المغيرة في حكمه لمدة عشرة أعوام، ساهم خلالها في تهدئة الوضع السياسي. لكن الشيعة لم يركنوا إلى الهدوء بقدر ما تسمح به ظروفهم. استغلوا تساهل الوالي وقاموا بحركة أخرى معارضة للنظام الأموي، مما جعل من الصعب قمع هذه المعارضة وتحقيق الهدوء في العراق دون استخدام الشدة (ابن الأثير، 1996، 3، 207).

لذا، عيّن معاوية – رضي الله عنه – زياد بن أبيه واليًا على الكوفة والبصرة بعد وفاة المغيرة سنة: 50 هـ / 670 م (طقوس، 1996، 21).

مارس زياد سلطة شبه مستقلة، معتمدًا على الشدة، مما أثار رعب أهل العراق. نتيجة هذه السياسة القاسية كانت ضعف مقاومة الشيعة، ولم يرتفع صوت معارض سوى صوت حجر بن عدي، الذي قُتل. ونتيجة سياسة الضغط التي اتبعها زياد ضد المعارضة في العراق، تكتل الشيعة وزادت نقمتهم على بني أمية وزياد (طهبوب، 2009، 13).

المبحث الثاني: أوضاع السياسة خارج العراق

يبدو أن الأوضاع السياسية خارج العراق لم تُشكل أي قلق لمعاوية، حيث كان الولاة يحكمون دون اعتراض. في مصر، حكم عمرو بن العاص – رضي الله عنه – لمدة عامين حتى توفي عام 43هـ/663م، ليخلفه ابنه عبد الله لمدة عامين آخرين، ثم انتقل الحكم إلى عتبة بن أبي سفيان، وبعده معاوية بن حديج سنة: 47 هـ/667م (العش، 1985، 143).

أما في الحجاز، فقد كان ما يثير قلق معاوية هو استقطابه لعدد من الشخصيات الإسلامية البارزة مثل الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير – رضي الله عنهم – لذا وضع هذا الإقليم تحت مراقبته المباشرة وعين عليه ولاة من البيت الأموي لتنفيذ سياسته. كانت المدينة تحت إدارة مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، وقد حرص معاوية أيضًا على دعم النشاطات غير السياسية مثل الشعر والموسيقى والعلوم الدينية، مما جعل مكة والمدينة مركزين رئيسيين للحياة الاجتماعية في تلك الفترة.

قام معاوية بخطوات أساسية في بناء الدولة الإسلامية، ويمكن تلخيص جهوده في أربعة أمور رئيسية:

- تنظيم الدواوين: حيث أصبحت لها إدارة وأختام، وتم ترتيبها على الطريقة الرومية برئاسة سرجون بن منصور المسيحي.
- تنظيم البريد: إذ جعل حركة البريد تسير عبر قوافل مرتبة، حيث تنتظر قافلة وصول الأخرى لتتابع السير، مما ساعد على انتظام وصول الرسائل من مختلف مناطق الإسلام.
- إنشاء المصانع على الطرقات: مثل الآبار، مما ساهم في ربط أجزاء المملكة بشكل محكم.
- وضع نظام ولاية العهد: وهو من أهم إنجازاته في هذا السياق (العش، 1985، 158).

الفصل الثالث: نماذج من أهم أحداث السياسية الخارجية في عهد معاوية

المبحث الأول: معاوية بن أبي سفيان وتعامله مع الجبهة الشرقية

أعاد معاوية تعيين كثير بن شهاب عاملا على الري [1] (الحميري، 1975، 278. 279).، ثم أقر زياد كثيرا على الري فغزا الديلم[1](ابن منظور،12، 206)، ولما كانت الري فتحت بمقاتلة الكوفة فقد أصبحت تابعة للكوفة إداريا، واستعمل معاوية قيس بين الهيثم بن الصلت السلمي على خراسان[2] (الحموي، 2، 401) وكان سكان هراة وبلخ والغيس بوشنج قد نكثوا العهد ولم يتمكن من السيطرة على المتمردين والناكثين ولم يتمكن من إعادة سيطرة الدولة على خراسان فعزله معاوية وجعل معاوية نفسه المشرف المباشر على خراسان ثم وجد من الضروري ربطها بالبصرة وجعل والي البصرة مسئولا عنها، وهكذا يكون عبد الله عامر والي البصرة وفاتح خراسان أول مرة هو المسئول عن تعيين عمال خراسان (طهبوب، 2009، 27).

في سنة (47هـ/676م)، فتح عامل خراسان الحكم بن عمرو جبال القور وقراوند عنوة، ثم غزا جبل الأشل. واجه المسلمون صعوبات كبيرة في هذا الفتح كانت تهدد حياتهم. عهد الحكم بن عمرو إلى المهلب بن أبي صفرة مسؤولية الحرب، وتمكن المهلب من القبض على أحد كبارهم الذي أرشده إلى الطريق، مما ساعد العرب على الخروج من الوادي واحتلال الجبل، فغنموا غنائم كثيرة. ثم أكمل الربيع بن زياد، العامل الجديد على خراسان، فتح سجستان وكرمان.

تمردت بخارى بمساعدة الترك، لكن العرب بقيادة عبيد الله بن زياد هزموا أهل بخارى، فطلبت ملكتهم خاتون الصلح، وصالحهم عبيد الله ودخل المدينة، ثم هاجم عبيد الله بيكند (طهبوب، 2009، 27).

شارك عبد الله بن سمرة في فتح سجستان، وعُين أميرًا عليها في عهد معاوية، لكنه عُزل من قبل زياد والي البصرة، الذي ولّى الربيع بن زياد على سجستان. كان الربيع أول من فتحها في عهد عثمان، وفتح أيضًا بست والرخج، وسار حتى وصل بلاد الدوار. بعد عزل الربيع، عُين زياد عبيد الله بن بكرة على سجستان، الذي نجح في عقد معاهدة صلح مع رنبيل ملك الترك.

في سنة (53هـ/672م)، غزا عباد بن زياد، عامل سجستان الجديد، قندهار حتى وصل بيت الذهب، حيث واجه قوة كبيرة من الهند لكنه هزمهم. ظل عباد عاملاً على سجستان حتى وفاة معاوية، وعندما تولى يزيد الخلافة، عزل عباد وعين مسلمة بن زياد مكانه.

---

[1] **الري**: كورة معروفة تنسب إلى الجبل وليست منه بل هي أقرب إلى خراسان، وهي بقرب دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان. ولما فتح نعيم بن مقرّن الري خرب مدينتها القديمة، وهي التي يقال لها العتيقة، وبنى الري الحديثة. وهي مدينة

في سنة (54هـ/664م)، أرسل معاوية المهلب بن أبي صفرة لفتح السند (طقوس، 1996، 29). سار المهلب إلى الأحواز وابنه، واصطدم بقوة تركية من بلاد الفيفان. رغم انتصاره، لم يحقق الهدف المنشود، فبعث والي البصرة أحد قواده، عبد الله بن سوار، لغزو بلاد السند، حيث غزا الفيفان وغنم غنائم كثيرة، ثم عاد مع بقية جيشه إلى مكران. لاحقًا، فتح العرب مكران وغزوا الفيقان مرة أخرى، وتغلبوا على البد وفتحوا قندهار (طهبوب، 2009، 28).

المبحث الثاني: معاوية بن أبي سفيان وتعامله مع الجبهة البيزنطية

ابتداءً من منتصف القرن الأول الهجري، شهدت العلاقات الإسلامية البيزنطية سلسلة من الأحداث الهامة التي أثرت في كل من العالمين الإسلامي والبيزنطي، مما جعل الصراع العسكري بينهما يتأرجح بين الانتصارات والهزائم، والسلم والحرب، وفقًا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كلا الطرفين (طقوس، 1996، 29)، ويتضح للباحثة من النص السابق أن: النص يتحدث عن العلاقات الأموية البيزنطية في منتصف القرن الأول الهجري، حيث كانت هذه العلاقات معقدة ومليئة بالصراعات، ويستشف مما سبق أنه كانت هناك أحداث هامة أثرت على العالمين الإسلامي والبيزنطي، ونتج عن هذا أن هناك تناوب بين الانتصارات والهزائم، مما يبرز الطبيعة المتقلبة للعلاقات الأموية البيزنطية، مما تأثرت العلاقات بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كلا الجانبين.

ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا نيسابور فإنها أكبر منها عرضة وأوسع رقعة، فأما اشتباك البناء وكثر العمارة فالري أعمر من نيسابور، ومقدار الري فرسخ في مثله، ويخترقها نهر يقال له رودة، وقدام المسجد الجامع قلعة الري على قبة الجبل صعبة المرتقى متكائدة المطلع، فإذا صرت فيها اطلعت على طسّوج الري كلها، وأبواب الري باب باطاق يخرج منه إلى الجبال والعراق، وباب بليستان يخرج منه إلى قزوين، وباب كوهك يخرج منه إلى طبرستان، وباب هشام يخرج منه إلى قومس، وباب خراسان يخرج منه إلى قم. وزي أهلها زي العراق ولهم دهاء وتجارات ... وافتتحها قرطبة بن كعب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب.

[1] **الديلم:** الجماعة الكثيرة من الناس. وهي شعوب إيرانية عاشت في شمال الهضبة الإيرانية، وقد جاء ذكرهم بأنهم: الحبشي من النمل، يعني الأسود، وقيل الديلم مجتمع النمل والقردان في أعقار الحياض وأعطان الإبل، كثرته ككثرة النمل، وهو الديلم، قال: ويقال للجيش الثير دلم، أراد في جيش ذي قدامي، والمرجحن: الثقيل الكثير. والديلم: الأعداء. والديلم: ماء معروف بأقاصي البدو، وفي التهذيب: الديلم ماءة لبني عبس. لسان العرب.

[2] خراسان: بضم الخاء ، اختلفت أراء المؤرخين في أصل تسميتها، فقال دغفل النسابة : خرج خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح عليهما السلام، لما تبلبلت اللسن ببابل فنزل كل واحد منهما البلد المنسوب إليه وقيل : خُر اسم للشمس بالفارسية الدَّرية وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه وقيل : معناه كل سهل لأن خُر كل وأسان سهل.

بعد هزيمة الجيش البيزنطي في معركة اليرموك سنة (15 هـ/636م)، استمر العرب في معاركهم ضد البيزنطيين، محققين انتصارات متتالية سيطرت خلالها الجيوش العربية على معظم مناطق سوريا وفلسطين في أقل من ثلاث سنوات. سقطت المدن واحدة تلو الأخرى، بدءًا من دمشق وحمص، وصولاً إلى الساحل مثل صور وصيدا وبيروت، ثم القدس في سنة (17هـ/638م)، وأخيرًا أنطاكيا في سنة (19هـ/640م)، ومع اكتمال الفتوحات، أصبح العرب لأول مرة على ضفاف البحر المتوسط، مما دفعهم، بقيادة معاوية بن أبي سفيان والي الشام، إلى وضع سياسة تهدف للسيطرة على هذا البحر الذي كان تحت سيطرة البيزنطيين (Mansouri, 2002, 14).

تُعرف المعارك بين المسلمين والروم باسم "حرب الثغور"، حيث تشير كلمة "الثغر" إلى أي موقع على حدود العدو. كانت حدود الروم تتكون من سلاسل جبلية عالية، منها جبل الكام الممتد من البحر الأبيض حتى بحر قزوين، وتتميز بطرقها العديدة المعروفة بـ"الدروب". كما كانت هناك أنهار مثل سيحان وجيحان وقويق، وكان الأرند يُعتبر من الأنهار الهامة لأنه يمر من بلاد الإسلام إلى أراضي العدو. تنقسم هذه الثغور إلى جناحين: أحدهما في الشام، والآخر في الجزيرة، وتتضمن حصونًا ومراكز للمراقبة ومدنًا محصنة مثل أنطاكية وطرطوس وبياس ومرعش (طهبوب، 2009، 18).

رأى معاوية أهمية تعزيز هذه المناطق الحدودية، فاهتم بمدينة أنطاكية التي كانت عرضة للغارات البيزنطية، وقدم منحًا للأشخاص للإقامة فيها، ونقل إليها جماعات من الفرس وأهل بعلبك وحمص والبصرة والكوفة. كما بدأ في إعادة تعمير المدن بين الإسكندرونة وطرسوس، وفتح مدنًا مثل سميساط وملطيه، وجدد حصونًا أخرى، بما في ذلك مرعش وزبطرة، واهتم بترميم المدن الساحلية مثل عكا وصور وحضن جبلة (البلاذري، 1957، 160-269) ويتضح للباحثة مما سبق أن النص يتناول جهود معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تعزيز المناطق الحدودية لحماية الدولة الإسلامية من الغارات البيزنطية، وتكونت هذه التعزيزات من الآتي: تعزيز الحدود حيث أدرك معاوية رضي الله عنه أهمية حماية المناطق الحدودية، وخاصة مدينة أنطاكية، بسبب تعرضها للغارات، وكذلك نراه يهتم بالسكان حيث قدم منحًا لتشجيع الناس على الإقامة في أنطاكية، ونقل جماعات من الفرس وأهل بعلبك وحمص والبصرة والكوفة لتعزيز السكان هناك، لهذا ساهم في إعادة الإعمار فقد ركز على إعادة تعمير المدن بين الإسكندرونة وطرسوس وفتح مدن مثل سميساط وملطيه، وقد حصن المدن حيث جدد الحصون في مرعش وزبطرة واهتم بترميم المدن الساحلية مثل عكا وصور وجبلة.

بالإضـافة إلى ذلك، أطلق معاوية نظامًا هجوميًا دفاعيًا عرف بالشـواتي والصـوائف، وهي حملات دورية كانت تتجه إلى الأراضـي البيزنطية تحت قيادة قادة متخصـصـين (ابن الأثير، 3، 222) ويرى الباحثان أن النص يتحدث عن الاستراتيجية العسكرية لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من خلال نظام "الشـواتي والصـوائف". ويوضـح الباحثان بعض النقاط للمصـطلح الشـواتي والصـوائف، حيث أن مفهوم الشـواتي والصـوائف هو الآتي: الصـوائف: حملات صـيفية، والشـواتي: حملات شـتوية، وكان الهدف منها إضعاف البيزنطيين والدفاع عن الحدود الأموية، وقاد هذه الحملات قادة عسكريون متخصـصـون، مما يعكس التنظيم والاهتمام بتدريب القادة، وقد لاحظ الباحثان من كل هذا هو: الضغط المستمر على البيزنطيين، وتوفير الوقت للاستعداد للغارات المحتملة، وساهمت في تعزيز الأمن على الحدود، حيث أظهرت قوة الدولة الأموية وقدرتها على تنظيم حملات منتظمة، وهذا النظام يعكس التخطيط الاستراتيجي لمعاوية رضي الله عنه حماية الدولة والتوسع في الأراضي البيزنطية.

في سـنة (49هـ/669م)، أرسـل معاوية حملة عسـكرية ضـخمة بقيادة فضـالة بن عبيد الله الأنصاري لحصار القسطنطينية، حيث توغل في الأراضي البيزنطية حتى وصل إلى خلقدونية. وقد أمده معاوية بالإمدادات خلال الشـتاء. لكن على الرغم من الجهود، لم يتمكن المسـلمون من تحقيق انتصارات حاسمة بسبب قوة أسوار المدينة ونفاد المؤن، مما اضطرهم في النهاية لفك الحصار والعودة إلى الشام، حيث توفي الصحابي أبو أيوب الأنصاري (ابن الأثير، 3، 227).

على الرغم من فشل الحملة عسكريًا، إلا أنها كانت ناجحة سياسيًا، حيث دفعت البيزنطيين لتطوير استراتيجيات دفاعية جديدة لحماية عاصمتهم (طقوس، 1996، 20).

شـهدت فترة معاوية نشـاطًا ملحوظًا في المجال البحري، حيث نظم المسـلمون أسـاطيل بحرية من مراكب خشبية، وفتحوا جزرًا كانت تحت سيطرة الروم. في سنة (53هـ/672م)، فتح القائد جنادة بن أبي أمية جزيرة رودس، التي كانت تشـكل قاعدة هامة للمسـلمين، وفتح جزيرتين أخريين في عام 55 هـ/674م (طهبوب، 2009، 20).

كما كانت هناك سـفارات دبلوماسـية بين الدولتين، حيث كان يتم إرسـال سـفراء للتفاوض حول مسـائل حربية أو اقتصـادية. وكان السـفراء يتمتعون بحصـانة دبلوماسـية، وخصـصـت الدولتان أموالاً كبيرة للأغراض الدبلوماسـية، حيث أعد معاوية بن أبي سـفيان ميزانية لاسـتقبال السـفراء وضـيافتهم. بذلك تعددت أنواع السـفارات، سـواء كانت سـرية أو علنية، لأغراض مختلفة (عثمان، 1401، 396-397).

المبحث الثالث: تعامله مع جبهة شمال إفريقيا

عندما استقر الأمر لمعاوية رضي الله عنه، استأنف النشاط الجهادي في سنة 45هـ/665م، حيث أرسل حملة بقيادة معاوية بن حديج السكوني، وأمره بشن غارات على المنطقة الغربية من طرابلس. وصل القائد إلى سهل قمونية، جنوب قرطاجنة. في هذه الأثناء، أقام القائد البيزنطي نقفور معسكره في مدينة سوسة الساحلية، مما جعل الاشتباك بين الطرفين وشيكًا. بالفعل، دارت مناوشات طفيفة انتهت بانسحاب نقفور، لكن ابن حديج لم يستغل هذا الانتصار لتثبيت أقدام المسلمين في المنطقة، رغم أنه فتح سوسة وجلولاء وبنزرت وجزيرة جربة.

يبدو أن معاوية ﷺ كان يسعى لتعزيز حركة الفتوحات، حيث فصل برقة وطرابلس الغرب عن مصر في عام 49هـ/669م، وعين عقبة بن نافع قائدًا، الذي ترك بصماته الواضحة في تاريخ الفتوحات. (طقوس، 1996، 32).

مع تولي عقبة بن نافع، بدأت المرحلة الثانية من فتوحات شمال أفريقيا، وهي مرحلة حيوية حيث سيتبنى هذا القائد استراتيجية جديدة تهدف إلى تأمين الاستقرار للمسلمين، وجعل المغرب جزءًا لا يتجزأ من العالم الإسلامي. بدأ عقبة نشاطه بفتح عدة مواقع استراتيجية في المغرب الأدنى، من خلال تنفيذ خطة محكمة لتشكيل حاميات عسكرية في المدن والمناطق المفتوحة، مثل ودان وفزان وخاور وغدامس.

أدرك عقبة من تجربته السابقة أن أهل شمال أفريقيا يقبلون الإسلام ما دام المسلمون حاضرون بينهم، وعندما يغادرون، قد يرتدون عن الدين. لذا قرر إنشاء قاعدة إسلامية في شمال أفريقيا تكون مركزًا لحكم إقليمي ثابت، تنطلق منها الجيوش الإسلامية للفتح والاستقرار في المناطق المجاورة، مع تأمين الخطوط الدفاعية اللازمة. كما كان لديه هدف عقائدي يتمثل في نشر الدعوة بين البربر، سكان شمال أفريقيا الأصليين. (طقوس، 1996، 37) .

عهد معاوية ﷺ إلى عقبة بن نافع بإنشاء مدينة القيروان كقاعدة متقدمة للمسلمين في أفريقيا، وأنجز بناءها في سنة 55هـ/675م. تم بناء المسجد الجامع، وبدأ الناس في إنشاء مساجدهم ومنازلهم، مما جعل المدينة مركزًا عسكريًا للمسلمين وسكانها. انتشر الإسلام بشكل كبير فيها، وأصبحت القيروان مدينة كبيرة وعاصمة الإسلام في المغرب، فضلاً عن كونها قاعدة أمنية للمسلمين في شمال أفريقيا. (طقوس، 1996، 37)، يشير النص إلى تركيز على تأسيس مدينة القيروان وأهميتها في التاريخ الأموي. وهي تعد من أكبر القواعد المتقدمة للمسلمين في شمال أفريقيا، وهي بنيت كقاعدة أمنية لحماية المسلمين وتوسيع نفوذهم في شمال إفريقيا.

في سنة 55هـ/675م، عين معاوية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر وأفريقيا، وعزل عقبة بن نافع عن أفريقية، فأسند مسلمة قيادة أفريقيا إلى أبو المهاجر دينار. عقد مسلمة بن مخلد لأبي المهاجر قيادة الجيش الذي خرج معه إلى أفريقيا. بعد أن أعد أبو المهاجر خطط الفتح وتدابيره الإدارية، سار بجيشه نحو قرطاجنة، عاصمة الروم في شمال أفريقيا، حيث ظلت قوة الروم قائمة في ساحل المغرب من بنزرت إلى طنجة.

عندما وصل أبو المهاجر إلى قرطاجنة، وجدها محصنة بأسوار عالية، فشدد الحصار عليها. وعندما أدرك الروم أن المسلمين لن يتراجعوا حتى يحققوا هدفهم بفتح جزيرة شريك، التي كانت تستخدم كمركز لحشد جيوشهم، قرر أبو المهاجر أخذها كقاعدة أمامية لعملياته العسكرية. بهذا، أثبت أبو المهاجر أنه يتمتع برؤية استراتيجية عسكرية، حيث فضل المواقع الاستراتيجية التي تفيده في الفتوحات على المال الذي كان بإمكانه الحصول عليه من أهل قرطاجنة مقابل الصلح. (طهبوب، 2009، 25).

كان هدف أبو المهاجر من فتح جزيرة شريك هو مراقبة الروم ومنعهم من التقدم نحو المسلمين، إذ كانت قوة الروم المتمركزة في تلك المنطقة تهدد بسهولة خطوط إمداد أبو المهاجر، خاصة إذا تقدمت قواته غربًا أو جنوبًا.

سار أبو المهاجر على الساحل باتجاه الغرب دون أن يعترضه أحد، حتى وصل إلى مليه، التي تبعد حوالي خمسين ميلاً عن بجاية. وجدها مستعدة للقتال، حيث كان فيها مجموعة من البربر والروم قد تحصنوا. وقام أبو المهاجر بمنازلتهم ونجح في فتح المدينة، واستقر فيها بعد ذلك. (طهبوب، 2009، 25).

المبحث الرابع: وفاة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-

توفي في دمشق عن عمر يناهز 78 عامًا، بعد أن عهد بالأمر إلى ابنه يزيد بن معاوية، ودفن هناك. وكانت وفاته في رجب سنة 60هـ/680م. قضى 20 عامًا والياً و20 عامًا أخرى خليفة. تولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الشام بعد أخيه يزيد في زمن عمر بن الخطاب، واستمر في الحكم حتى وفاته، ليكون مجموع حكمه أربعين عامًا، منها أربع سنوات في زمن عمر، ومدة خلافة عثمان، وخلافة علي بن أبي طالب وابنه الحسن بن علي، أي لمدة عشرين سنة.

استوثق له الأمر بتسليم الحسن بن علي إليه في سنة: 41 هـ/661م، واستمر حكمه عشرين سنة بعدها. توفي في شهر رجب بدمشق، وكان قد أصيب بمرض في آخر عمره. كان يقول: "ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى، ولم أر من هذا الأمر شيئًا".

قال القاري: "كان لديه إزار رسـول الله ﷺ ورداؤه وقميصـه وبعض شـعره وأظفاره، فقال: كفنوني في قميصه، وأدرجوني في ردائه، وأزروني بإزاره، واحشـوا منخري وشـدقي ومواضع السجود من شـعره وأظفاره، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين" (القاري، 2002، 283-284)، هكذا انطوت رحلة الخليفة معاوية ابن أبي سـفيان التي سـاهم في تأسـيس أركان الدولة الأموية سـنة (41–61 هـ/661–680م)، والتي مزال التاريخ يذكرها إلى وقتنا الحاضر.

الخاتمة

وخلاصة القول في الخاتمة أن هناك عدّة نتائج أهمها:

- أسـس معاوية نظام حكم مركزي قوي، حيث اسـتند إلى هيكل إداري فعال يسـاعد في إدارة شؤون الدولة، مما عزز من قوة الدولة الأموية.
- عمل على إعادة تنظيم الجيش وتوسـيع قوته، مما سـاعد في تحقيق الفتوحات الجديدة وتأمين حدود الدولة.
- قام بتنفيذ إسـتراتيجية فعالة للفتوحات في شـمال أفريقيا، مما سـاهم في توسـيع الأراضـي الأموية وتثبيت الأقدام الإسلامية في تلك المناطق.
- أنشـأ شـبكة من الحاميات العسـكرية والمدن الجديدة مثل القيروان، مما سـاعد على توطيد السيطرة الإسلامية وتسهيل حركة الجيوش.
- عمل على تحقيق الاسـتقرار الداخلي من خلال التعامل مع الفتن والمنازعات، مما سـاهم في تعزيز ولاء الناس للدولة.
- اتبع سـياسـة مرنة في التعامل مع الروم والبيزنطيين، مما أتاح له التركيز على الفتوحات الداخلية وتوسيع النفوذ.
- شجع على نشر العلم والثقافة، مما ساهم في ازدهار الحركة الثقافية في الدولة الأموية.
- اختار دمشق عاصمة للدولة، مما جعلها مركزًا سياسيًا وثقافيًا هامًا في العالم الإسلامي.
- أسـس نظامًا وراثيًا في الحكم، حيث عهد بالأمر إلى ابنه يزيد، مما سـاعد في اسـتقرار الدولة الأموية واستمرارها لفترة طويلة.

تؤكد هذه النتائج على الدور البارز الذي لعبه معاوية بن أبي سـفيان في المسـاهمة في تأسـيس أركان الدولة الأموية وتطويرها كقوة رئيسية في العالم الإسلامي.

المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

إبراهيم، أحمد (د.ت). *الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن الأثير، أبو الحسن (1967). *الكامل في التاريخ*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987). *جمهرة اللغة*، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملاين، بيروت، ج3، ط1.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (د.ت.). *البداية والنهاية*، مطبعة السعادة–القاهرة، دار الفكر – بيروت، ط3.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (د.ت.). *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ج8.

الأزهري، محمد بن أحمد (2001). *تهذيب اللغة*، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط1.

الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل (1990). *مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين*، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

اشميسة، سعد ارحومة المبروك (2015). حركة الخوارج نشأتها وأسباب ظهورها في عهد الخلافة الراشدة خلال (23- 40هـ/ 643- 660م). *المجلة العلمية لكلية الآداب: جامعة دمياط - كلية الآداب*، 11(2).

البغوي، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه (د.ت). *معجم الصحابة*، طبعة مكتبة دار البيان، بيروت.

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى (1957). *فتوح البلدان*، تح: عبد الله وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين.

الحموي، ياقوت (د. ت.). *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، (د.ط).

الحميري. محمد بن عبد المنعم (1975). *كتاب الرّوضُ المِعْطار في خبرَ الأقطار (معجمَ جُغرَافي مَعَ مَسردَ عام)*، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1.

رياض، عيسى (1992). *الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية*، دمشق، ط1.

الزبيدي، محمد حسين (1370هـ). *تاريخ الدولة الأموية*، دار النهضة العربية، بيروت، ط1.

الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم (1991). *الملل والنحل*، تح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ج1، ط1.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (1960). *تاريخ الرسل والملوك*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

طقوش، محمد سهيل (1996). *تاريخ دولة الأموية*، دار النفاش للطباعة والنشر، بيروت، ط2.

طهبوب، صلاح (2009). *موسوعة التاريخ الإسلامي. العصر الأموي*، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، ط1.

عثمان، فتحي (1401هـ). *الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري*، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1.

العدوي، إبراهيم أحمد (1982). *تاريخ العالم الإسلامي*، دار الاتحاد العربي للطباعة، عمان، ط1.

العسقلاني، الحافظ ابن حجر (1968). *هدي الساري. مقدمة فتح الباري*، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1.

العش، يوسف (1985). الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2.

عواجي، غالب بن علي (1398- 1399هـ). *الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها*، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا.

الفراء، أبو علي الحسين بن محمد (1972). *كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة*، تح: صلاح الدين منجد، بيروت، دار الكتاب الجديد.

القاري، علي بن سلطان محمد (2002). *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح كتاب العلم*، حديث رقم: (200)، دار الفكر، بيروت، ط2.

المعاضيدي، عبد القادر سلمان (2006). *واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية*، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1.

الملطي، أبي الحسن محمد بن أحمد (1968). *التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع*، مكتبة المثنى، بغداد، د.ط.

ثانيا: المراجع باللغات الأجنبية

Dumper, M. R. T., & Stanley, B. (Eds.). (2006). *Cities of the Middle East and North Africa: a historical encyclopedia*. Bloomsbury Publishing, USA.

Mansouri, M. T. (2002). *Le Maghreb médiévat, perceptions et représentations, Faculté des Lettres de Sfux et Maisonneuve et lorose,* Paris, Tunis.